

من دروس الجائحة في رمضان.. رسالة من القائم بأعمال المرشد العام



تتوالى الدروس من هذه الجائحة؛ فقبيل رمضان أظهرت الجائحة ضعف النفس البشرية التي يصيبها الهلع والجزع عند المصائب والكوارث، ثم المنع والتلاوم عند كشفها، أو السيطرة على هذه الطبيعة البشرية التي تجلت في تصرفات كثير من الرؤساء، وقرارات الحكومات، وتوصيات المؤتمرات الوطنية، والتشريعات البرلمانية، على المستوى المحلي والإقليمي والدولي على حد سواء.

ومع الفرحة بقدوم شهر الصيام والقرآن، كانت هذه فرصة للأمة الإسلامية لتهيئة نفسها بالالتزام بقيم ومقومات دورها في الحضارة الإنسانية، التي يحققها الصيام، ويشير إليها القرآن في قول الله تعالى: ((إِنْ أَلْنَسْنَا خَلْقَ هَلْوَاعًا إِذَا مَسَّهُ لَشْرٌ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْْرٌ مَنُوعًا إِلَّا لِمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَأْمُونَ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مِّمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لِسَانٌ وَلَا مَحْرُومٌ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتٍ مِّنَ اللَّهِ وَلِلَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَا يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ لَبَّيْتَهُمْ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ اللَّعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لَأَمْنَتِهِمْ وَعَمَّ دِيهُمُ رَعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّةٍ مَّكْرَمُونَ)) (المعارج: الآيات 35-19).

وعلى قدر ما يغتنم كل مسلم ما بقي من فرصة في رمضان، ليهذب نفسه بالصيام والقرآن جميعاً، يكون اقتراب الأمة الإسلامية من أداء دورها في إنقاذ الحضارة الإنسانية من هذا الوباء العالمي، الذي توالى دروسه العملية والتربوية في رمضان. وإن الله تعالى، كما شرع صيام رمضان، أوجب زكاة الفطر التي تحقق قيمة التكافل المجتمعي والإنساني؛ فعلى كل صائم لا يملك إلا قوت يومه، أن يطعم مسكينا ممن لا يملك قوت يومه في مجتمعه. والتكافل والإصلاح المجتمعي الذي يسعى الإسلام لتحقيقه ليس مقصوراً على المسلمين، بل يتعداهم ليكون تراحمًا وتكافلاً إنسانياً عالمياً، لا يتقبله الله تعالى من المسلمين أو غيرهم، حتى يكون بريئاً من المطامع والمصالح السياسية أو الاقتصادية، ولا مكان فيه للتفاخر أو الرياء ((لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)) (النساء: 114). ((إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا)) (الإنسان: 9).

ومن الآثار التربوية لرمضان على عموم الأمة الإسلامية في مواجهة الجائحة العالمية، مسارعة عموم المسلمين صغاراً وكباراً بالصيام وتحمل مشاقه، التي هوت عليهم إجراءات الحجر الصحي والعزل والتباعد المجتمعي، رغم تعذر تحقيق بعض الضروريات، وكثير من الحاجيات من مأكلاً ومشرباً ومسكن وأمن وعلاج. وجاءت مسارعة أصحاب الفضل والسعة إلى التعجيل بزكاة أموالهم في رمضان، تخفيفاً من الآلام اشتد وقعها على غيرهم من الشعوب والأمم التي لا تعرف الزكاة. ونسأل الله تبارك وتعالى، ألا ينصرف رمضان هذا العام، حتى يشارك من يملكون قوت يومهم - ممن تعددهم منظمات

حقوق الإنسان من الفقراء - في أن يلحقوا بأصحاب السعة والعطاء في تكافل اجتماعي فريد، يكون إضافة من الشعوب الإسلامية إلى الحضارة الإنسانية التي هي في أشد الحاجة إليه، للنجاة والخلص من هذه الجائحة الهوجاء وعواقبها المادية والنفسية.

ويبقى على الأمة الإسلامية وغيرها من الأمم ألا تغتر بما أوتيت من علم، أو بقية من قيم حضارية وإنسانية، قد حدثت من آثار هذه الموجة من الوباء، عسى أن يكون ذلك اختباراً جديداً لمدى استمساكنا واستكمالنا لهذه القيم الإنسانية، وانتفاعنا بما وصلنا إليه من علم، فإننا لم نصل إلا إلى القليل من العلم، ولا يزال الطريق أمامنا طويلاً وشاقاً، حتى تستعيد الأمة الإسلامية، ومن ثم الحضارة العالمية قيمة إنسانية، هي ضرورية لاستمرار هذه الحضارة، حتى يرث الله الأرض ومن عليها. ((إِنَّ اللَّهَ بِأَلْعِ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا)) (الطلاق:3).

فلنتزود فيما بقي من رمضان بالصيام والقرآن والعلوم النافعة والإنفاق في سبيل الله، ولنتحلّ بصفات المصلين والمتقين ولنتخلّ عن غيرها، فإن خير الزاد التقوى، ولنجتهد في العشر الأواخر، عسى أن نظفر بلبلة هي خير من ألف شهر، فإذا أكملنا العدة وكبرنا الله على ما هدانا إليه، كان ذلك باعثاً لنا - عقب رمضان - على التزود بالطاعات، من قيام الليل واستغفار بالأسحار، والمواظبة على صلاة الجماعة والسنن الراتبة، وصيام النوافل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففي ذلك نجاة من الجائحة، وإعداد لأنفسنا ولأمتنا، لنقوم بدورنا الحضاري لإسعاد البشرية بالإسلام العظيم.. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أُنِيكُمْ إِبرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) (الحج:78-77).

الأحد 17 رمضان 1441هـ = 10 مايو 2020م

القائم بأعمال فضيلة المرشد العام

أ. د. محمود عزت